التّكبّر في القرآن الكريم دراسة موضوعية وتحليلية

المدرس الدكتور
فضيلة عبد العباس حسن الأسدي
جامعة الكوفة - كلية التربية للبنات

المقدمة

فالقرآن الكريم كتاب الله المعجز ,ودستور السعادة الأكمل, ومعين الأخلاق الأغدق ,فيه الدروس والعبر ,ومنه يُعرف الخير من الشر, لذلك كان منهلاً عذباً للباحثين عن السعادة وللباحثين عن العلم والمعرفة ,فقد اتجه الباحثون لدراسة معانيه وإرشاداته ,كلّ بحسب اختصاصه, فاتجه اللغويون لمعرفة إعجازه اللغوي, وعلماء الاجتماع للبحث عن كيفية بناء مجتمع مثالي, وعلماء النفس للبحث عن أسرار النفس الإنسانية ,والفقهاء للبحث عن الأحكام الشرعية, وتوجّه إليه الراغبون بالقرب الإلهي لتجريد أرواحهم ,وإدامة وصالهم به, واتجهتُ إلى النص القرآني للاغتراف من هذا المنهل العذب ,فاخترت موضوعا أخلاقياً لاكتشاف بعض خفاياه النفسية من منظور قرآني فجاء البحث بعنوان (التكبّر في القرآن الكريم, دراسة موضوعية وتحليلية).

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يُقسم على تمهيد عرض مفهوم التكبر ,والفرق بين الكبر والتكبّر, والنسبة بين الكبر والعُجب, ودرجات التكبر وأقسامه. وجاء المبحث الأول بعنوان (استكبار إبليس ,مقدماته ونتائجه) أما المبحث الثاني فخُصص لـ(الاستكبار البشري)وتعرض لمقدماته ونتائجه, ثم جاءت الخاتمة ملخصة أهم النتائج التي توصل إليها البحث ,أعقبتها قائمة بأسماء المصادر والمراجع.

واستقى البحث مادته من المعجمات اللغوية وكتب التفسير ,فضلاً عن كتب إعراب القرآن والكتب النحوية ,واستعان البحث ببعض كتب الأخلاق.

ولعل من الصعوبات التي واجهت البحث تشعّب موضوعه ,وتعدد اتجاهاته فقد عني بهذا الموضوع كتب الأخلاق , واعتمد البحث على الأدوات اللغوية في الدراسة

التحليلية مما تطلّب الاطلاع على تفسير الآيات ثم إعرابها ثم البحث عن القصدية في استعمال الصيغ والجمل.

وبعد أن وصل البحث إلى نهايته لا أدعي له الكمال, إذ الكمال لله وحده ,ولكن ما سمح به الجهد والسعي , وما التوفيق إلا من عند الله

التمهيد

:مفهوم التّكبّر ،والفرق بين الكبر والتّكبّر، و النسبة بين الكبر والعجب و درجات التّكبّر ، و أقسامه

مفهوم التّكبّر

- التّكبّر لغةً :

عُرّف التّكبّر في معجمات اللغة بأنه ((طبلٌ له وجه بلغة أهل الكوفة , والكِبْر : الإثم الكبير من الكبيرة كالخطأ من الخطيئة . والكُبْر :اكبر ولد الرجل , ويجمع : أكابر . وكُبْرُ كلّ شيء : عظمهُ , وقوله عزّ وجل : ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ (١).....ومن قرأ : ((كِبْرَهُ))يعني :إثمه وخطأه))(٢).

يشير التعريف إلى دلالة الكبر على العظيم من الأشياء وأوجهها , وأيضاً ارتباط الكبر بالسوء في موارد معينه كما في التعريف أعلاه, والكبر : ((من الكاف والباء والراء أصل صحيح يدل على خلاف الصِغْر . يقال : هو كبير , وكُبار , وكُبّار . قال تعالى﴿ وَمَكَرُوا۟ مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ ﴾ (٣) ...والكِبر : العظمة , وكذلك الكبرياء))(٤)

ويفصّل ابن منظور في معجمه ((كبر:الكبير في صفة الله تعالى , العظيم الجليل والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده والكبرياء عظمة الله ,جاءت على فعلياء,... والكبرياء : العظمة والملك ,وقيل:هي عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود ولا يوصف بها إلا الله تعالى ... ويقال : كَبُر بالضم يكْبُرُ : أي : عظم : فهو كبير....:الكبرُ نقيض الصِّغر, كَبُر كِبرَا وكُبْراً فهو كبير وكُبار وكُبّار.بالتشديد إذا أفرط)) (٥)

إنّ الكبرياء والعظمة والعلو مختص بالله تعالى فهو المتكبّر الذي يتعالى عن ظلم عباده عظمةً ورحمة , والكبرياء هو كمال الذات والصفات والكمال المطلق لله تعالى

فقط فهو الغني المطلق وكمال ذاته وصفاته من غناه وكماله , والكبر صفة للأمور أو الأشياء العظيمة أو الكبيرة واقعاً أو تصورا وإذا أُريد المبالغة في ذلك شُدّد وضعِّف . و قد يكون الكبر من جهة الرائي يرى الشيء كبيرا أو عظيما سواء كان ذلك في الواقع أم لا فـ((الشيء : جعله كبيرا واستكبره وأكبره : رآه كبيرا , وعظم عنده))(٦) فللرائي ومنظاره ولطبيعة نظره إلى الأمور أثر في جعلها في حجمها أو موقعها الطبيعي أو لا .

•التّكبّر اصطلاحا :

يطلق الكبر على :((الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه , وذلك بأن يرى نفسه أكبر من غيره . وأعظم التّكبّر التّكبّر على الله بالامتناع من قبول الحق والإذعان له))(٧) لأنه يتكبّر ويستعظم نفسه.

وأطلق الكبر على حالة شعورية وخلق يظهر أثره في الظاهر على شكل سلوك , فالكبر ((هو اثر العجب في قلب مملوء جهلاً وظلمات , ران عليه المقت))(٨) فموطن الكبر القلب فهو شعور داخلي مستحكم بدرجة لذلك عُرِّف الكبر ((إنه الركون إلى رؤية النفس فوق الغير , وبعبارة أوضح : هو عزة وتعظيم يوجب رؤية النفس فوق الغير واعتقاد المزية والرجحان عليه))(٩) فهو تسليم بعظمة النفس وعزتها في غير محله .

والكبر منشؤه باطني أول ما يُقدح في النفس غالباً , فهو: ((خلق نفساني وحالة باطنية توجد في الإنسان بواسطة رؤية نفسه أفضل وأسمى مرتبة من شخص آخر ... فيرى نفسه مهما وعزيزا وعظيما ويفرح بعظمته الموهومة))(١٠) والكبر لا يلازم الإنسان فقد يعرض له لكثرة إعجابه بنفسه أو تميزه عن غيره(١١), ويمكن القول إنّ هناك مقدمات أو عوامل تنمي الشعور بالكبر وتجمّله بشكل مستمر أو على جرعات أو حتى في مواسم وتوقيتات .

وبالرغم من أن الكبر من أخطر الأمراض الخلقية وأشدها فتكا وأمقتها عند الناس(١٢), نظرا لنتائجها ومضاعفاتها فإنّ كثيرا من الناس من يتصف به , ((وهو

رذيلة من رذائل الإنسان , وخُلق سيء من سجايا باطنه ومن كبائر الذنوب))(١٣). ويعيش الإنسان المتكبّر في وهم من صُنع نفسه, ويُصيبه انحراف في التفكير.

الفرق بين الكبر والتّكبّر :

المتكبر يظهر عليه التّكبّر عن طريق سلوكه في المشي والكلام والمأكل وحتى في النظر(١٤) ؛ لأنّه ((لا يرى لأحد حقا عليه , ويرى حقه على جميع الأنام فلا يزداد من الله إلا بعدا , ولا يرى من الناس إلا حقاراً وبُغضاً))(١٥)وليس ذلك إلا لأنه عــاش في نفسه حالة العلو والعظمة. والتّكبّر هو ظهور الأعمال في الظاهر أي: انعكاس حالة الكبر الموجودة في الباطن بصورة ظاهرية على هيأة سلوك أو أفعال وهذا هو الفرق بين الكبر والتّكبّر (١٦). والتّكبّر: هو((أن يرى الإنسان نفسه كبيرا عظيما بالقياس إلى غيره))(١٧) فالإنسان وهو مخلوق محدود العلم والفهم أيضاً لا يجدر به مقايسة نفسه مع الآخرين فهو لا يعرف نفسه حق المعرفة فعدم معرفته بالآخرين وحقيقة منزلتهم مسلّم به عقلا ؛ وعليه فإن نتيجة قياسه هذا مجانب للصدق والواقع . وعُرِّف التّكبّر أيضاً ((أن يرى الإنسان نفسه أفضل من الآخرين , وأعلى وأعلم , بسبب الاعتبار المضخم , أو فكرة الإنسان عن نفسه , فالإنسان الأناني ينظر إلى نفسه نظرة مضخمة))(١٨),لأنّه يضع (الأنا) موضع المحور فيضخّم ويعظّم نفسه , فيتوهم أنّ غيره أدنى وأقل منه وربما تيقّن خلاف ذلك ولكنه يظهر غير ذلك حسداً ومكابرة, وهذه الصفة من الصفات الأكثر ذماً في كتاب الله المجيد والنصوص الشرعية بل هي من أقبح خصال النفس المذمومة وأشنعها,وقد توعّد القرآن الكريم المستكبرين بالخلود في جهنم كما توعّدهم بالعذاب ,وما ذلك إلا لأنّ هذه الصفة تورث الاغترار والركون إلى النفس وهي الحجاب الأكبر دون الوصول إلى الخلق الايجابي(١٩) , فيقول تعالى: ﴿ فَٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَلَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ٢٩ ﴾ (٢٠) , وكذا قوله تعالى: ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ عَذَابَ ٱلۡهُونِ بِمَا كُنتُمۡ تَسۡتَكۡبِرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ ٢٠ ﴾ (٢١) وآيات كثيرة غيرها.

النسبة بين العجب والكبر :

ويختلف الكبر عن العجب وإن كانا من شعبة واحدة وهي الأمراض الخُلقية ذات الجذر القلبي فـ((العجب بالشيء شدة السرور به حتى لا يعادله شيء عند صاحبه . تقول هو معجب بفلانة إذا كان شديد السرور بها وهو معجب بنفسه إذا كان مسرورا بخصالها))(٢٢). فالعجب هو الانغلاق على النفس نسبيا والهتاف لها بالعظمة والتمجيد فهو في الحقيقة ((استعظام نفسه لأجل ما يرى لها من صفة كمال , سواء كانت له تلك الصفة في الواقع أم لا . وسواء كانت صفة كمال في نفس الأمر أم لا))(٢٣), فالعجب ليس فيه مقارنة مع مقابل للتعالي عليه وهو وإن كان باطنيا فلا يبقى على هذه الدرجة فقد يتطور إذا ما سيطّر على النفس ويتحول إلى تكبّر لأنّه ((عبارة عن تصوّر واستحقاق الشخص رتبة لا يكون مستحقا لها . وتغير النفس بما خفي بسببه وخرج عن العادة مثله))(٢٤), كما يقول الجرجاني, وهو من الصفات الرذيلة ,فالإعجاب بالذات وتوهّم الكمال يُشعر الإنسان بالتدلّل والتغنّج ,ولأنّه يرى الآخرين لا يملكون تلك المزية أو الصفة الموهومة في نفسه يتصور التّفوق ويؤدي ذلك إلى التعاظم والترفع على الآخرين فيسقط في براثن التّكبّر ويصبح متكبرا(٢٥).

ويظهر جليا الترابط في الدلالة بين التعريفات اللغوية والاصطلاحية للكبر فجميعها تشير إلى نقيض الصغر ,أي: الكبير والعظيم من الأشياء واقعا أو تصورا , وكبير في نفسه أو كبير فيمن يراه . وإن كان الكبير والتّكبّر مذمومين فكبرياء الإنسان ممدوح إذا كان بمعنى التعالي والتسامي عن الأمور الدانية سواء كانت صفات أو أخلاقا أو سلوكا لأنّ التعالي واحتساب النفس أكبر من أن تتلوث بالصفات الذميمة ,يعدّ عزة نفس .

درجات التّكبّر :

التّكبّر أصله في القلب وبما أنّ القلب مديرُ وموجّه الأعضاء الأخرى فدرجات التّكبّر تترتب بحسب ترسخها في منشئها الحقيقي:

- الدرجة الأولى: وفيها يكون الكبر ((مستقراً في قلبه بحيث رأى نفسه خيراً من غيره))(٢٦)أي: يكون التّكبّر قلبياً في الجوانح ولم يظهر في أفعاله أو كلامه لأنّ صاحبه يجتهد في لجم نفسه وترويضها .

- الدرجة الثانية : وفيها يظهر التّكبّر في الأفعال بشيء من الوضوح لأنّه نما وتجاوز القلب فتجلّت أعراضه(٢٧) .

- الدرجة الثالثة : وهي التي أحكمت شجرة التّكبّر جذورها في القلب وكثرت فروعها وأغصانها فظهر في الأفعال والأقوال ,فقد طغى التّكبّر وتفاقمت مضاعفاته وهذه أسوأ درجات التّكبّر وأقبحها وأشنعها, ففيها يكون التّكبّر جوانحي جوارحي (٢٨).

أقسام التّكبّر :

للتكبر أقسام ثلاثة رئيسة تتفرع منها الأقسام الأخرى كلها وهي :

١- التّكبّر على الله تعالى : وسببه الطغيان والجهل المحض وذلك إما بإنكار الباري أو وحدانيته أو التّكبّر عن عبادته وهو أقبح أقسام التّكبّر وأشدها هلكة . ومثاله النمرود وفرعون وأهل الكفر والإلحاد ومدّعي الربوبية , وفيه يكون الإنسان جاهلا محضا ولا يعرف حدود نفسه ومقامها كممكن وجاهل بمقام الواحد واجب الوجود(٢٩), كما في قوله تعالى ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِي سَيَدۡخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٣٠).

٢- التّكبّر على الرّسل والأنبياء والأولياء (عليهم السلام) : وذلك بعدم الإذعان لهم ((من حيث تعزّز النّفس وترفّعها عن انقيادهم))(٣١) وإنكار رسالاتهم وتعاليمهم , وكثيرا ما يحصل ذلك في زمان الأنبياء والأولياء أي: عند حضورهم وظهورهم وما زال حتى الوقت الحاضر كما في التّكبّر على نواب الأولياء والأئمة وعدم طاعتهم(٣٢) , وهو دون القسم الأول لكنه قريب منه(٣٣), وفي كتاب الله تعالى نماذج كثيرة على ذلك منها : ﴿ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنۢ بَيۡنِنَآۚ ﴾(٣٤).

٣_التّكبّر على الناس : ذلك بأن يرى نفسه أفضل منهم وأرفع شأنا ومنزلة إذ يعد الإنسان نفسه أكبر وأعلى من الآخرين وهذا القسم وإن كان دون سابقيه إلا أنّه

من المهلكات أيضاً (٣٥). ففيه تجاوز للحدود وظلم للنفس كبير بأن يضع الإنسان نفسه موضعا لم يضعه الله فيه .

يتبيّن مما تقدم أنّ الكبر ضدّ الصغر , وهذا ما بُني عليه التعريف الاصطلاحي فالإنسان يرى نفسه كبيرا ويرى الآخرين أصغر شأنا منه , وهذا هو التّكبّر الذي يُعد من الأخلاق المذمومة, لأنّه يُنتج أفعالا غير محمودة على صعيد المجتمع وفي نظر الخالق سبحانه . وهناك فرق دلالي بين العُجب والتّكبّر ,فالعُجب شعور نفسي, والتّكبّر على الرغم من أنّه شعور يؤدي إلى سلوك فإنّ له درجات يبدأ في القلب ثم ينمو ويكبر في النفس الإنسانية حتى يصبح مرضا خُلقيا مزمنا , كما أنّ له أقساما وكلّها مذمومة

.المبحث الأول

استكبار إبليس

- استكبار إبليس ، مقدماته ، ونتائجه

استكبار إبليس : ظهر استكبار إبليس عندما أبى أن يسجد مع الملائكة لآدم (عليه السلام) عندما أمرهم الحق تعالى بذلك ,قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٣٦) وتظهر صورة استكباره واضحة في مشهد سجود الملائكة, ففي كل مورد ذكر فيه سجود الملائكة استثني إبليس بـ (إلاّ) وتبعه تتمة تبيّن استكباره ووجه تكبّره , وجاء (إبليس) في كل الموارد منصوبا وجوبا لأنه سُبق بالمستثنى منه (الملائكة) فهو تام موجب – أي المستثنى منه- فيجب نصب المستثنى منه بـ(إلا) عندها(٣٧), وقد يتبادر سؤال : إذا لم يكن إبليس من جنس الملائكة – وهو كذلك- فلمَ قال تعالى في كتابه : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴾ (٣٨) ؟ و الجواب أنّ هذا من التغليب وفيه ((يغلبون على الشيء ما لغيره لتناسب بينهما أو اختلاط))(٣٩) .

و(استكبر) من الاستكبار , وأصله الكبر, (استكبر) على وزن اسْتَفْعَلَ , ومصدره الاستفعال (٤٠), وهو من الأوزان التي تدل على طلب الشيء كما في (العين)((إذا أراد الرجل أن يدخل نفسه في أمر حتى يضاف إليه ويكون من أهله))(٤١) فإبليس

طلب لنفسه الكبر والعظمة وهو ليس أهلا لذلك , فجاء اللفظ (استكبر) على وفق المعنى الموجود في الواقع لأنّ الطلب للفعل (التّكبّر)والتماسه والسعي فيه والتأتي لوقوعه يستلزم تقدم حروف الزيادة على الفعل(٤٢), ومن معاني استعمال وزن(استفعل)((الاعتقاد في الشيء انه على صفة أصله ... استكبر وتكبر : أي: اعتقد في نفسه أنها كبيرة))(٤٣) سواء أكان ذلك أم لا , وأيضاً كثر استعمال (استفعل) في معنى القوة أي قوة إتيان الفعل(٤٤), وكلاهما وارد في موضوع إبليس.

مقدمات استكبار إبليس :

أشار الحق تعالى في كتابه عن حقيقة مفادها أنّ إبليس كان كافرا قبل استكباره بدلالة الفعل الماضي الناقص (كان) ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٤٥)وقوله تعالى: ﴿ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾ (٤٦) ومعلوم أن لفظ (كان) يدلّ على الماضي ,وإن جاء في بعض الأحيان بمعنى (صار) وفسّرها بعض العلماء بأنها في هذا السياق تعني (أنه كان في علم الله سيكون), ويظهر من الآية أنّ استكباره وإباءه مسبوق بالكفر . والإباء امتناع بشدة وباختيار(٤٧) , وشدة امتناعه وتعاليه عن السجود وبيانه لذلك ﴿ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ ﴾ (٤٨) سبقه كفر, والكفر ((نقيض الإيمان ... والكفر أربعة أنحاء : كفر الجحود مع معرفة القلب .. وكفر المعاندة : وهو أن يعرف بقلبه, ويأبى بلسانه , وكفر النفاق : وهو أن يؤمن بلسانه والقلب كافر.وكفر الإنكار:وهو كفر القلب واللسان))(٤٩) وينطبق على إبليس كفر المعاندة نظرا لوجوده مع الملائكة وتمتعه معهم في بعض المزايا القريبة , وقد كان إبليس كافرا قبل الامتحان الإلهي بالسجود وإنّ إبائه عن السجدة كان مرتبطا بكفره ولكنه أضمره (٥٠). أي استوطن الكفر باطنه ولم يظهر حتى أتى الأمر الإلهي بالسجود فظهر ما أضمره من قبل ((خلق الله ادم فبقي أربعين سنة مصورا فكان يمرّ به إبليس اللعين فيقول لأمر ما خُلقت ... لئن أمرني الله بالسجود لهذا لأعصينه ... ثم قال الله تبارك وتعالى للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا له فاخرج إبليس ما كان في قلبه من الحسد)) (٥١) فقد كفر حسداً , وكان

كفره من حين عزمه على العصيان في قرارة نفسه لو صدر الأمر الإلهي بالسجود فقد اعتقد بعدم صواب الأمر الإلهي (٥٢), وما ذلك إلاّ بسبب الكبر واعتقاد الأفضلية على آدم (عليه السلام)(٥٣)؛ وذلك يعود إلى العجب الذي أصابه جراء عبادته الطويلة ((وكان قد عبد الله ستة آلاف سنة لا يدري أمن سني الدنيا أم سني الآخرة))(٥٤) فعجب بنفسه ,وفي رواية ((إنّ إبليس عبد الله في السماء الرابعة في ركعتين ستة آلاف سنة)) (٥٥)فتوهم أن عبادته تُعليه عن أمر كالسجود لبشر فغضب واستكبر ((إنّ إبليس كان مع الملائكة وكانت الملائكة تحسب أنّه منهم ... فلما أمر بالسجود لآدم حمي وغضب , فاخرج الله ما كان في نفسه))(٥٦)فلم يتصور أنّ من شأنه الخضوع لبشر؛ لذلك توجه إليه الاستفهام التوبيخي ((استكبرت أم كنت من العالين))(٥٧) أي ((طلبت التّكبّر بامتناعك من السجود له أم كنت من العالين الذين يعلون على الخلق تجبرا وتكبرا))(٥٨)إشارة إلى تعاليه والمعنى ((أرفعت نفسك فوق قدرك وتعظّمت عن امتثال أمري أم كنت من الذين تعلو أقدارهم عن السجود فتعاليت عنه))(٥٩)ويقال إنّ العالين قوم من خلقه مستغرقون في التوجه إليه تعالى لا يشعرون بغيره (٦٠), وأيّ علو يبقى قبالة أمر الجبار الحق , ولكنه لم يكتف بذلك بل يظهر ما في نفسه من جهالة فيقيس القياس الخاطئ ﴿ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُۖ ﴾ (٦١) ويستدل بـ﴿ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ٧٦ ﴾ (٦٢)واستفهامه ﴿ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ ﴾ (٦٣) فيدل على أنه مصرٌ على تكبره وقد نظر إلى العنصر فـ((النار أفضل من الطين والمخلوق من الأفضل أفضل ...النار مشرق علوي لطيف خفيف حار ... والطين مظلم سفلي كثيف ثقيل بارد))(٦٤) وقارن بينهما مقارنة مادية, ويفهم منه ((لو كان مخلوقا من نار لما سجدت له , لأنه مثلي , فكيف أسجد لمن هو أدنى))(٦٥)فهو لم يلتفت إلى الآمر بالسجود , أو الذي خلق هذا الخلق , بل لم يلتفت إلى الذي خلقه وأودع فيه الصفات التي يعتقد أنها مقومات العلو والحظوة . ويشير تعالى إلى تكريم آدم (عليه السلام) وتعظيمه بنسبة الإضافة إلى ذاته المقدسة ﴿ وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي ﴾ (٦٦), أي تولّيت خلقه بلا واسطة كالولادة

أو غيرها (٦٧), وقد أضافه إلى نفسه لشرفه وطهارته (٦٨), وكذا في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (٦٩) فذكر الإضافة والتثنية أيضاً , أي خلقته بقدرتي ويُطلق لفظ اليد للقدرة والقوة(٧٠) , أما التثنية فلإبراز الاعتناء بخلقه (عليه السلام) الموجب لإجلاله(٧١), والتّوبيخ للمعرض عن ذلك .

إنّ الذي أدى بإبليس إلى الاستكبار هو الأنا والنظر إلى الأمور من الداخل أي قياس الأشياء إلى نفسه لا إلى موجدها وخصائصها الحقيقية وإن هكذا قياس يُنتج نتائج سلبية وخيمة ومعكوسة . كما حصل لإبليس , ويظهر أنّ تكبره كان تكبرا على الله تعالى(٧٢) عصيانا لأمره وعدم التسليم لحكمته وإرادته .

تتلخص مقدمات الاستكبار عند إبليس بالعجب , والحسد , والغضب , والقياس الخاطئ, والكفر , ونبعت كل هذه المقدمات من الأنانية ,فالاستكبار يصدر من منابع نفسية ,منشؤها أوهام وتفكير خاطئ يقود إلى انحراف فكري يؤدي إلى انحراف أخلاقي ,وكلّ ذلك سببه الابتعاد عن نور الهداية الإلهية.

نتائج استكبار إبليس :

إنّ إبليس كان من الجن وصارفي مصاف الملائكة فشُمل بأمر السجود لآدم (عليه السلام) ولما أبى واستكبر عن ذلك نتج عن ذلك أمور أولها يتجسّد في الطرد كما في قوله تعالى: ﴿فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا﴾ (٧٣) فجاء الأمر بالهبوط ,والهبوط هو نزول مع مكث وإقامة, وكذلك ان الهبوط انحدار دفعة واحدة في حين النزول تنزل منزلة إلى جهة الأسفل (٧٤), والهبوط ((نقيض الصعود))(٧٥) وهو تجريد العالي من العلو وإنزاله وفيه سلب المنزلة وإقامة في الدرجة السفلية الجديدة والهبوط من السماء , أو الجنة أو من بين الملائكة (٧٦), أو من المنزلة التي كانت تحسب له , أو من الدرجة الرفيعة للمطيعين إلى الدرجة الوضيعة (٧٧), بدلالة (من)الظرفية , والهاء المتصلة بها للدلالة على الموضع الذي كان فيه . فلا يصح لك التّكبّر في هذا الموضع فهنا لا يُتكبّر أو يُعصى فيه الحق , وتستمر الآية ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾ (٧٨) ثم جاء الأمر بالخروج , فالفاعل لـ(اخرج) ضمير مستتر وجوبا تقديره

(أنت)(٧٩), وأكد الفاعل بعود الكاف عليه (إنّك)(٨٠), في محل اسم (ان) المشددة التي لها وقع شديد , ثم تردف بحال الخروج صاغرا , وهذه الحال تلزمه فتصبح صفة ملازمة , والفاء في (فاخرج) ((عاطفة لتأكيد الأمر بالهبوط))(٨١).

إنّ الهبوط هو الانحدار وقد يكون سلباً لنعمة كأثر على معصية أو زلة , والفعل (اخرج)تعني الإخراج من دائرة النعمة والإبعاد عنها, لأنّ الاستكبار صدر منه مع سبق الإصرار بدليل تجرئه وقوله ((أنا خير منه)) (٨٢) فجاء الأمر ((اخرج من المكان الذي أنت فيه))(٨٣) فلا يليق به وجود عاص متكبر فيه , وألبسه الله الصغار لما تكبّر وترفّع عن أمر الله (٨٤), والصاغر هو الذليل بصغر القدر(٨٥), فأهانه الله لتكبّره .ويفهم من ذلك أنّ القرب الإلهي أو الجنة لا يحصل التأهيل لهما مع وجود الكبر في النفس (٨٦).

وفي سورة الأعراف قال تعالى ﴿ٱخۡرُجۡ مِنۡهَا مَذۡءُومٗا مَّدۡحُورٗاۖ﴾ (٨٧) فإخراجه وإبعاده كان بذأم ودحر , والذأم في اللغة : التحقير والخزي والعيب (٨٨) , فقد حقّره ربّ العزة وأخزاه , و((قيل :الذأم أشد العيب))(٨٩) والسبب في كونه معيبا هو عصيانه واستكباره , ومدحور على وزن (مفعول) والدحر هو : الدفع والتنحية والاقصاء(٩٠) , أي اخرج مخزيا مدفوعا منحىً من المنزلة التي كنت تحظى بها مع الملائكة , ثم ثبّت عليه صفة أخرى كما في﴿فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ٣٤﴾ (٩١), ورجيم على وزن (فعيل) من أوزان الصفة المشبهة الدالة على الثبوت(٩٢) , والرجم هو ((الرمي بالحجارة))(٩٣) وعلى هذا فإنّ رجيم بمعنى (مرجوم)أي دلالة وزن (فعيل) بمعنى (مفعول)(٩٤), والرجم يعني الطرد والهجران . ويعني ذلك : اخرج فانك يا إبليس ((مطرود من الخير والكرامة , مبعد من الرحمة , فإنّ من يُطرد يُرجم بالحجر . أو شيطان يرجم بالشهب))(٩٥) والشهب دلالة على النار وهذا كله معنوي على الأرجح ,والنار إشارة إلى الغضب والنقمة .

وتأتي اللعنة عليه بعد إخراجه وإبعاده فيقول تعالى﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ ٱللَّعۡنَةَ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٣٥ ﴾ (٩٦)وفي آية أخرى﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٧٨ ﴾ (٩٧) واللعن هو

((التعذيب ... واللعين المشتوم المسبوب))(٩٨) فصار مستحقا لعذاب الطرد والإبعاد الدائم وهو أشد عذاب.. و((اللعن...الطرد من الخير وقيل الطرد والإبعاد من الله ,ومن الخلق السّب والدعاء))(٩٩) فأبعد عن الذات والرحمة أيما إبعاد, وإلى يوم القيامة وهو يوم الجزاء(١٠٠) , وقد قال سبحانه ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ ﴾ (١٠١) في هذا الموضع بالألف واللام أما في موضع آخر ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى ﴾ (١٠٢) ,لأنّ الموضع الأول سبقه قوله ﴿ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (١٠٣) وساق الآية على اللام في قوله عن الإنسان والجان ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ ﴾ (١٠٤) و((الجان))(١٠٥) فأتى باللام في ((اللعنة)) ولم يأت بها في ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِى ﴾ (١٠٦) بل أضافها لأنه سبق ذلك ﴿ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ ﴾ (١٠٧) مضافا لذلك أضاف اللعنة هنا للمطابقة(١٠٨) , وهذه إضاءة من جمال الصياغة ودقة الصُنع في الكتاب الكريم المنزل من لدن عليم خبير .

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ تمادي إبليس في جرأته على ربّه واعتراضه على أمره ﴿ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴿٦١﴾ ﴾ (١٠٩) ﴿ قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا ٱلَّذِى كَرَّمْتَ عَلَىَّ ﴾ (١١٠) أسقطه وحدّد مساره – المسار الشيطاني- قبالة التوجه لله الحق والطاعة له . فيقول تعالى بعد اعتراضه – الآنف الذكر- ((قَالَ اذْهَبْ))(١١١) والقائل هو الباري, والأمر موجه لإبليس , واذهب أي ((أمض لما قصدته وهو طرد وتخلية بينه وبين ما سولت نفسه))(١١٢) كما في قوله تعالى عن لسان موسى (عليه السلام) للسامري ﴿ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ﴾ (١١٣) أي اذهب وافعل ما عزمت عليه فإنّك ملعون إلى يوم الجزاء وفي ذلك اليوم تأخذ جزاءك كاملا ﴿ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴿٦٣﴾ ﴾ (١١٤)فجهنم هو الجزاء . وعنادا منه وانتقاما من آدم أقسم بعزة الله ذلك القسم العظيم ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (١١٥) و ﴿ لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ

ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ﴾ (١١٦) فيأتي الرد ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ (١١٧) فلا تستطيع إجبارهم على الغواية ومجانبة الصراط .

يتبين مما تقدم أنّ إبليس شخصية غير ملائكية فقد كان من الجن كما بيّن ذلك القرآن الكريم , وقد سُمح له أن يكون مع الملائكة عابدا لله تعالى , لذلك شُمل بالأمر الإلهي بالسجود لآدم (عليه السلام) , فأبى واستكبر وكان استكباره له مقدمات أهمها إنّه ((كان من الكافرين)) وهذه الحقيقة كشفها الاختبار بالسجود . وأظهرت الآيات القرآنية سبب استكباره عن طريق حوار دار بينه وبين الخالق سبحانه , وأدى استكبار إبليس وترفعه عن امتثال الأمر الإلهي الموجه إليه إلى نتائج وخيمة أولها : الهبوط وفقد المنزلة , ثم الصغار والذلة , والإخراج والإبعاد حقيرا مخزيا مطرودا من الرحمة , معذبا بالبعد عن الله تعالى فاللعنة المؤبدة أقسى عذاب وعقوبة توجه للمتمادين بكبائر الذنوب.

المبحث الثاني

الاستكبار البشري ،مقدماته ونتائجه

توطئة :

خلق الله تعالى البشر وأودع فيهم العقل ليميزوا الحق من الباطل والصواب من الخطأ , قال تعالى : ﴿ إِنَّا هَدَيْنَـٰهُ ٱلسَّبِيلَ ﴾ (١١٨). فقد ارشد الباري البشر إلى طريق الحق , وأوضحه لهم ودلّهم عليه (١١٩)وفي آية أخرى ﴿ وَهَدَيْنَـٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ ﴾ (١٢٠) والنجد ((ما خالف الغور))(١٢١) أي ما علا وارتفع(١٢٢).

وهدينا الإنسان النجدين أي سبيل الخير وسبيل ,وفي سورة الشمس أيضاً ما يدلّ على ذلك ﴿ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ ﴾ (١٢٣) , فقد منح الباري الإنسان قدرة التشخيص والعقل والضمير اليقظ ليميز بين الخير والشر والفجور والتقوى عن طريق العقل والفطرة (١٢٤) , فقد فطر الله الإنسان على الخير , قال تعالى :﴿ فِطْرَتَ

ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ (١٢٥) فكل مولود يولد على الفطرة أي المعرفة بأنّ الله خالقه(١٢٦) , بمعنى أنّ نقاط قوة الخير عنده أرجح من الشر .

إنّ الباري عزّ وجل خلق الإنسان وكرّمه بالعقل وأودع فيه قابلية التحرك نحو الخير أو الشر ولم يجبره على اختيار طريق معين منهما وقد فطر الإنسان بالفطرة السليمة خالي الوفاض وهو باختياره يرصد النقاط من الخير أو الشر عند سلوكه في سيره في أحد الطريقين.

الاستكبار البشري :

إنّ من جملة النواهي التي نهى الله تعالى عنها في كتابه الكريم (التّكبّر), وقد دعا إلى تهذيب النفس الإنسانية من هذا المرض, يقول عزّ وجل: ﴿ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ (١٢٧) والمرح في اللغة ((شدة الفرح حتى يجاوز قدره))(١٢٨) أي الفرح بالشيء أكثر مما يُفرح حقيقة, والمرح ((شدة الفرح والنشاط حتى يجاوز قدره ... المرح التبختر و الاختيال ...وقيل المرح الأشر والبطر))(١٢٩) ينهى عزّ وجل عن المشي مرحا , أي فرحا متجاوزاً حدّ الاعتدال لان الفرح الحق يكون ابتهاجا بنعمة الله ولا يتعدى الاعتدال ,أما إذا اشتد الفرح وظهرت آثاره على الإنسان من خفة عقل أو مشي تبختر فهو مذموم (١٣٠) , وهذا إذا كان فرحا بشيء يستحق الفرح ولكنه تجاوز بفرحه , فكيف إذا كان فرحا بشيء موهوم متخيل كما هو الحال عند المستكبرين , لذلك يقول تعالى : إنّك أيها الإنسان لن تخرق الأرض من تحت قدميك بكبرك وتعظمك وشدة وطأتك(١٣١) , والخرق ((الشق في حائط أو ثوب))(١٣٢) ,فلا تنشق الأرض لثقلك المتخيل وقدرك الموهوم , ولن تبلغ الجبال بتطاولك وتعاليك(١٣٣) , والقصد هنا التهكم بالمختال والمتكبّر لأنّ الاختيال حماقة لا تعود بنفع(١٣٤) .وفي قوله تعالى: ﴿ إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ ٱلْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ ﴾ كناية عن الضعف والعجز ومحدودية القدرة , والكناية أبلغ من التصريح وأشد وقعا في المخاطب(١٣٥) , فإنّك أيها الإنسان بمشيتك الحاكية عن تكبرك تريد إظهار القوة والعظمة ,ولكنك واهم ,لأنّ هناك ما هو أقوى منك وهي

الأرض فلا تستطيع شقها وما هو أطول وأعلى منك وهي الجبال (١٣٦), فلا تعش الوهم ولا تتصور أنّ ما لا يمكن أن يحصل ستفعله أنت .

وفي سورة لقمان ورد في معرض وعظ لقمان لابنه قول الباري :﴿ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ ﴾ (١٣٧) فقد وردت في هذه الآية (لا)الناهية الجازمة مرتين ,في حين تكررت (لن) الناصبة المؤبدة للنفي (١٣٨) في الآية ٣٧من سورة الإسراء , ووردت (لا) الناهية مرة واحدة, والصعر في اللغة ((ميل في العنق وانقلاب في الوجه إلى الشقين ... وربما كان عن كبر وعظمة))(١٣٩) بل هو ميل في الرأس إظهارا للكبر واستخفافا بالآخرين , ولا تمشي متبخترا إنّ الله لا يحب كل مختال , و(كُلّ) للإحاطة (١٤٠) , فكل مختال بعيد عن الله تعالى , والمختال هو الذي يكون ((ذو خيلاء معجب بنفسه))(١٤١)فالذي يرى نفسه أعظم من غيره يُعرض عن الناس ويمشي وكله عجب بنفسه, ويأتي البيان بان الله ((لا يحب كل من تأخذه الخيلاء , وهو التّكبّر بتخيل الفضيلة , ويكثر من الفخر))(١٤٢) ومن يفعل ذلك فقد ابتعد عن روح الإيمان واتصف بصفات الكفار فهم عادة ما يتكبّرون عن الحقّ فيُنكرونه , و(فخور) على وزن (فعول) وهو من صيغ المبالغة(١٤٣), الدالّ على المبالغة والتكرار . والفرق بين المختال و الفخور : أن (المختال) تشير إلى التخيلات الذهنية أي الكبر الباطني و(فخور) تشير إلى التّكبّر الجوارحي(١٤٤) .

وبعد ما نهت الآية الكريمة عن مظهر من مظاهر التّكبّر وهو مشية البطر والخيلاء وضحت الآية التالية لها المشية المناسبة ﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾ (١٤٥) والقصد : هو ((استقامة الطريقة ...والقصد في المعيشة ألاّ تسرف ولا تقتر))(١٤٦) ومعناه عموما التوسط في الأمور أي لا إفراط ولا تفريط بل الاستقامة بينهما , والمعنى اعتدل في مشيك أي اجعله ((مستويا على وجه السكون والوقار))(١٤٧) فلا تسرع ولا تبطئ وإنما ((توسط فيه بين الدبيب والإسراع))(١٤٨) فالإسراع خلاف الوقار والدبيب خلاف الطبيعة الإنسانية وعادة

ما يُرى المتجبرون يمشون ببطء وتمايل إظهارا منهم للعظمة أو يمشون بضرب الأرض وإحداث الضجيج لجذب الأنظار إليهم . وقد وصفت الآيات الكريمة ((التّكبّر على الناس)) وعالجته فهو قبيح مستهجن .

لقد أشار القرآن الكريم في آيات عدة إلى تكبّر الناس على الرّسل والأنبياء وإنكارهم لآيات الله, قال تعالى ﴿ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ (١٤٩), فالخطاب وإن كان موجها ليهود بني إسرائيل إلا أنّه يعمم على الأقوام كلها وفي الأزمان كلها, فالمستكبر عندما يرى أمر الله أو حكمة إلهية خلاف ما تهوى نفسه يُكذب بالرّسول صريحا إن تجرأ أو بالمراوغة إن لم يتمكن من ذلك . وقد نسب الفعل إليهم لأنهم رضوا بفعل أسلافهم وإن لم يباشروه فعلا (١٥٠), أما قوله (تَقْتُلُونَ)بصيغة المضارع فبمعنى (قتلتم) , كما تقول لمن توبخه : لمَ تكذب ولا تريد ما يفعله لاحقا إنما لِمَ فعلت(١٥١) , والفاء في(ففريقا)عاطفة والأصل ((فكذبتم فريقا))(١٥٢) وهذه ((توبيخ وتعجب))(١٥٣) في ((أَفَكُلَّمَا)).

وفي آية أخرى ﴿ قَدْ كَانَتْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ تَنكِصُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ ﴾ (١٥٤) وقد جاءت هنا(مستكبرين)بصيغة الاسم لتدل على الاستغراق في التّكبّر حتى صار يطلق عليهم اسما , وقد جمعت الآية المباركة أربعة أحوال (عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ) حال من فاعل (تَنكِصُونَ) و(مُسْتَكْبِرِينَ) حال ثانية و(سَأمرًا) حال ثالثة و(تَهْجُرُونَ) جملة حالية رابعة (١٥٥), والمعنى : كنتم تعرضون مدبرين عن سماع الآيات(١٥٦), والنكوص:هو((الإحجام))(١٥٧) وهو((الرجوع إلى الوراء القهقرى))(١٥٨) أي كنتم تحجمون وترجعون القهقرى مستكبرين عن سماعها . وفي الكتاب المجيد شواهد كثيرة على الاستكبار عن قبول الحق والإيمان بالرسل والأنبياء (عليهم السلام) , وجزاء هؤلاء المستكبرين الخلود في النار والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١٥٩)والخلود ((البقاء فيها)) (١٦٠), فلأنّهم استكبروا عن الآيات الواضحات فيقون أبدا في النار جزاءً لاستكبارهم .

مقدمات الاستكبار البشري :

جاء في أكثر من موضع من القرآن الكريم الاستكبار والتكذيب معا ,والتكذيب متزامن مع الاستكبار في قوله تعالى :﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ ﴾ (١٦١) و((بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين))(١٦٢) فكان التكذيب يأتي بوصفه مقدمة الاستكبار ويتزامن معه, وفي قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (١٦٣) فقد كذبوا بالعلامات وتعالوا عنها , وحرف الجر (عن) يحضر بوصفه مؤشر خطورة فلم يكذبوا فحسب بل تعالوا وتعاظموا عن الآيات تعاليا, دلّ عليه حرف الجر (عن) الذي يعني المجاوزة(١٦٤), وفي آية أخرى يتوعد تعالى :((إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط وكذلك نجزي المجرمين))(١٦٥) فالذين كذّبوا واستكبروا لا تفتح لهم أبواب السماء , أي ((لا تفتح لأرواحهم كما تفتح لأرواح المؤمنين))(١٦٦) ,ولا تنزل عليهم البركة ولا تصعد أدعيتهم وأعمالهم (١٦٧), وقد يكون السماء هنا بمعناه الظاهر أو يكون كناية عن القرب الإلهي(١٦٨), والثاني أقرب وأرجح , فهؤلاء المستكبرون لا يدخلون الجنة حتى يحصل المستحيل وهو ولوج الجمل في ثقب الإبرة(١٦٩) , وقد وصفهم بالمجرمين , كما في سورة الجاثية ﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَـٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (١٧٠).

فإجرامهم أدى إلى الاستكبار, , وجاء (الجرم) في القرآن الكريم على معان عدة منها : العناد والبغض والعداوة والذنب وكل اكتساب مكروه وغيرها(١٧١), وقد تكون المعاني آنفة الذكر كلها مقصودة في سبب توصيف الآية السابقة .

وفي آية أخرى قال تعالى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْا۟ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا۟ بِهَا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا۟ سَبِيلَ ٱلْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ (١٧٢) فهنا يفصّل

الباري طريقة تعاطي المتكبرين بغير الحق مع الأمور , فهم إن يروا سبيل الرّشد ,لا يتخذوه طريقا ومسلكا, فلا يسلكون طريق الهداية و((الصواب والحق))(١٧٣) وإن يروا طريق الغي يتخذوه طريقا لهم وهو سبيل الضلال والبعد عن الهداية . بل إن يروا كل آية من الآيات المنزلة أو المعجزات لا يؤمنوا بها لانهماكهم في الهوى (١٧٤), وتخبطهم هذا هو سبب غفلتهم وتكذيبهم , فالغفلة عن الآيات هو سبب تكذيبهم لها الذي أدى إلى استكبارهم عنها .فهؤلاء المتكبرون متغافلون لا يتخذون إلاّ سبيل الضلال مسلكا لهم .

وفي آية أخرى في الكتاب المجيد يذكر الباري سبب استكبارهم وتماديهم على الله تعالى ﴿ ۞ وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ نَرَىٰ رَبَّنَا ۗ لَقَدِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ وَعَتَوْ عُتُوًّا كَبِيرًا ﴿٢١﴾ ﴾ (١٧٥) فسبب الاستكبار وهو عدم الرجاء بلقاء الجزاء , ولا يرجون بمعنى لا يأملون لقاء جزائنا لكفرهم بالبعث أو لا يخافون لقاء جزائنا بالشر على لغة تهامة فإن الرجاء في لغتهم تعني الخوف(١٧٦),كما في قوله تعالى : ((لا ترجون الله وقارا))(١٧٧) فلعدم خوفهم من الجزاء أو عدم رجائهم به استكبروا في أنفسهم فطلبوا رؤية الملائكة بل رؤية الله تعالى أيضاً , فلما تملّك الاستكبار نفوسهم ((عَتَوْ عُتُوّاً كَبِيراً)), وفي اللغة ((عتا عتوا وعتيا إذا استكبر فهو عات , والملك الجبار عات , و جبابرة عتاة . وعتا فلان وعتت فلانة إذا لم تطع))(١٧٨) العتو ليس استكبارا أو عصيانا بل هو ((المبالغة في المكروه ... أو كفر أو فساد))(١٧٩), فالعتو مبالغة وزيادة و((عتا يعتوا عتوا وعتيا استكبر و جاوز الحد...والعاتي شديد الدخول في الفساد المتمدد الذي لا يقبل موعظة))(١٨٠) فهؤلاء لما كانوا غافلين ولبسوا جلباب الغفلة استحكم العصيان والتمرد على نفوسهم, فاستكبروا وطلبوا رؤية الملائكة , لذلك قال تعالى إنّهم(عتوا عتوا كبيرا)أي ((بالغا أقصى غاياته حيث أملوا نيل رتبة المفاوضة الإلهية من غير توسّط الرّسول والملك كما قالوا (لو) يكلمنا الله ...إنهم بلغوا غاية الاستكبار وأقصى العتو))(١٨١) واستكبارهم جاء على هذه الدرجة من المبالغة لقوة فتك المقدمة بهم _ عدم الخوف من الجزاء_ , فهم طلبوا ما لا يدركه المؤمنون الخلص إلاّ المخصوصين

من الأنبياء والرّسل , فقد افقدهم الاستكبار صوابهم فتمادوا على منزلة رسل الله وأنبيائه .

وفي آية أخرى تظهر مقدمة أخرى من مقدمات الاستكبار ,وهو الانغماس في لهو الحديث والمداومة على هذه الأجواء يشكّل مقدمة للاستكبار على آيات الله ,قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡتَرِي لَهۡوَ ٱلۡحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٦ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسۡتَكۡبِرٗا كَأَن لَّمۡ يَسۡمَعۡهَا كَأَنَّ فِيٓ أُذُنَيۡهِ وَقۡرٗاۖ فَبَشِّرۡهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧ ﴾ (١٨٢) و((الاشتراء كناية عن العناية بالشيء والاغتباط به))(١٨٣) فمن يبحث ويُعنى باللهو وينشغل به يبعد نفسه ومن معه عن الصواب والحق ,واللهو ((ما شغلك من هوى أو طرب ... واللهو : الصروف عن الشيء . لهو عنه ألهو لهوا .والعامة تقول : تلهيت)) (١٨٤) فالانشغال باللهو والطرب , أي باطل الحديث والغناء(١٨٥), أو الكلام الذي لا أصل له والأساطير التي لا حقيقة لها والمزاح والمضاحك وفضول الكلام(١٨٦), تبعد الإنسان عن سبيل الله فطريق الحق وطريق الباطل على طرفي نقيض , فجزاؤه (عذاب مهين) وإنّ كان ذلك عن جهل, لأنه إذا تتلى عليه آيات الله وهي التي تخرج الأرواح والنفوس من براثن الجهل والباطل وتدخلها في نور الحق يولي مستكبرا , بمعنى اعرض مترفعا عن آياتنا(١٨٧), كأن لم يسمعها فهو مصر ومتمسك بحاله كأنّ في أذنيه وقرا فلا يسمع , والوقر ((ثقل في الأذن))(١٨٨), وفي الحقيقة هذا الثقل هو الاستكبار المسبوق بالتشرب في اللهو والباطل وقيل :إنّ الوقر هو الصم أو كناية منه(١٨٩) ,ولا فرق بين الثقل المانع من السمع وبين الصم فالنتيجة واحدة وهي عدم السمع. والعذاب المهين جزاء لهؤلاء المنشغلين بالطرب واللهو وإن كان ذلك منهم (بغير علم) تبينه الآية التالية لهذه الآية .

ومن مقدمات الاستكبار التي أوردها الكتاب المجيد في ضمن ذكره لقصص الأقوام الغابرة, الجحود بآيات الله ,قال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٞ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَقَالُواْ مَنۡ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةًۖ أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِي خَلَقَهُمۡ هُوَ أَشَدُّ مِنۡهُمۡ قُوَّةٗۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ﴾

(١٩٠)فاستكبروا في الأرض بغير الحق ,وقوله تعالى(بغير الحق) لا يعني أن هناك تكبّراً أو استكباراً بحق وآخر بغير حق كما في سورة الأعراف في قوله تعالى:((ساصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق))(١٩١),فـ((بغير الحق))تأكيد(١٩٢) , كما في قوله تعالى ((وقتلهم النبيين بغير الحق))(١٩٣), فهؤلاء استكبروا واغتروا بقوتهم التي منحهم الله إياها (١٩٤) ,قالوا من أشد منا قوة ؟ فـ(مَن) اسم استفهام و(أشد) خبره و(قوة) تمييز(١٩٥) ,لذلك قالوا نحن قادرون على دفع العذاب بفضل قوتنا فلا أحد أقوى منا(١٩٦), فردّ تعالى عليهم (أولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة) أولم يعرفوا أن الذي خلقهم وأعطاهم هذه القوى هو أقوى منهم ؟ ولكنهم جحدوا بآياتنا فاستكبروا(١٩٧) ,فأنكروا آيات ربهم فكان استكبارهم مصمما اصطنعوه بإرادتهم ؛لأنّ الجحود هو الإنكار مع العلم (١٩٨)، وسؤالهم من اشد منا قوة بحد ذاته استكبار وإنكار , وهذا ما يلحظ حتى الوقت الحاضر على مستوى الأفراد أو الفئات أو الدول .فالمتكبرون يستقوون بالقوة التي منحهم الله إياها ليستضعفوا عباد الله :ولا يتدبرون آيات الله فيمن قبلهم _ والتي لا تزال عبرة لمن يتعظ ويعتبر .

ويظهر مما تقدم أنّ الاستكبار مذموم ومنهي عنه أياً كانت مظاهره وتجلياته في الأفعال أو الأقوال أو حتى في التفكير , وأنّ للاستكبار مقدمات تُهيىء الأرضية الخصبة له وتساعد في توطنه عند الإنسان, وقد بيّن القرآن الكريم تلك المقدمات في سياق الآيات التي عرضت لأحوال الأقوام الغابرة وسبب استكبارهم ,أو في معرض بيان عقوبة المستكبرين , وهي :التكذيب , والإجرام , والغفلة عن الحق , وعدم إدراك الحقائق وبالنتيجة عدم الخوف من الجزاء , والتشرب في اللهو والباطل يؤدي إلى النفور من الحق والإعراض عنه , والجحود وإنكار الظواهر من الأشياء.

نتائج الاستكبار البشري :

لما كانت هداية البشر وسعادتهم بإتباع الرّسل والإيمان بما أتوا به من عند الله تعالى , ولم يحصل ذلك عند كلّ البشر فبعضهم لم يذعن ولم يسلّم قيادته لرّسل الله, بل استكبروا عليهم وعلى تعاليمهم , ولما كان الاستكبار على الناس وعلى

الأنبياء والرّسل إثما عظيما , فقد أدى إلى نتائج وخيمة وردت جملة منها في القرآن الكريم , فقد نعت سبحانه الذين يستكبرون بـ(الظالمين) وذلك في قوله تعالى :﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَنْ قَالَ سَأُنْزِلُ مِثْلَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ (١٩٩) فالآية الكريمة في معرض بيان حال الظالمين عند الموت , ومع أن الآية تخص أدعياء النبوة والوحي إلا أنها تشمل كل من يدعي لنفسه مكانة هو ليس أهلا لها (٢٠٠)؛ لأنّ من يستكبر ويتعاظم يظلم نفسه وهذا يؤدي إلى التعدي على الآخرين, وتبين الآية أنّ جزاء هؤلاء الظالمين عذاب الهون.

وقد سبق القول إنّ التكذيب مقدمة للاستكبار أو متزامن معه , وقد أشار تعالى إلى ذلك أيضاً في سورة الأحقاف قال تعالى: ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (٢٠١) فعندما آمن الشاهد واستكبرتم ((ألستم ظالمين))(٢٠٢) وجملة (إن الله لا يهدي القوم الظالمين)استئناف مشعر بأنّ كفرهم وضلالهم المسبب عن ظلمهم (٢٠٣),فهم استكبروا أو ضلوا فصاروا ظالمين , والنتيجة المترتبة على كونهم ظالمين إنّ الله لا يهديهم , ويُحتمل في عدم الهداية أمران : إنّه لا يهديهم إلى الجنة لاستحقاقهم العقاب ,أو لا يحكم بهداهم لكونهم ضلالا ظالمين(٢٠٤), وقد يكون الأمران واردين , إنّ الاستكبار النامي المنتج للظلم له نتيجة وخيمة مفصلية أخرى , وهي : إن الله يمدّ المستكبرين المعاندين للحق_ بعد الوضوح والبيان_ في ضلالتهم ويحرمهم الهداية , و(لا) في (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) حرف نفي(٢٠٥) , وبدلالة صيغة المضارع للفعل (يهدي)(٢٠٦) فإن الهداية منفية باستمرار عن المستكبرين الظالمين من عند الله .

ومن نتائج الاستكبار كما في سورة الأعراف (الكفر) فقد قال عز وجل﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (٢٠٧) فبعد أن ذكر سبحانه الآلاء والنعم التي أسبغها على قوم صالح حيث مكّنهم في الأرض فاتخذوا القصور في سهولها ونحتوا البيوت في جبالها كما تبين الآية ٧٤من سورة الأعراف ذكر أنّ المستكبرين الذين عاشوا برفاهية كفروا بصالح (عليه السلام), وقالوا للمستضعفين المؤمنين من قومه (إنا بالذي أمنتم به كافرون) أي: بالذي صدّقتم به جاحدون(٢٠٨), فلما كانوا مستكبرين وأكابر عند قومهم قالوا على سبيل الاستهزاء(٢٠٩): ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ (٢١٠) ولكنهم لم يقصدوا السؤال وتحري الحقيقة , بل أرادوا إلقاء الشبهات وزعزعة إيمان المستضعفين وإضعاف معنوياتهم (٢١١), فأجاب المؤمنون :((إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ))(٢١٢) فعدلوا عن الجواب الصريح بـ(نعم) أي سنعتقد انه مرسل من ربه فحسب بل نؤمن بما أرسل به وهذا تنبيه إلى أنّ إرساله أظهر من أن يُشك به (٢١٣) ؛لذلك قال المستكبرون (انا بالذي أمنتم به كافرون) وذلك على وجه المقابلة فوضعوا (آمنتم به)موضع (أرسل به)(٢١٤), ردا لما أبدوه من اعتقاد راسخ , فكانت هذه محاولة لاستمالة المستضعفين (٢١٥), فهم كبراء القوم ولهم نفوذ وسطوة قد تغيّر أو تزعزع موقف المستضعفين .

ثم عتوا وجاوزوا الحد , وتمردوا عن امتثال أمر ربهم الذي بلّغهم به صالح(٢١٦), فعقروا الناقة ولم يذروها ﴿ فَعَقَرُواْ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْاْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُواْ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (٢١٧) أي :ائتنا بالعذاب وقد استعجلوه لتكذيبهم به وبكل ما أخبرهم عن الوعد والوعيد (٢١٨)؛ولذلك علّقوه بما كانوا قد كفروا به(٢١٩): (إن كنت من المرسلين)

ويشير الله تعالى إلى مآل المستكبرين عن آيات الله فيقول :﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ ﴾ (٢٢٠) بمعنى : إنّ الذين جحدوا

وحدانيتي وكذّبوا رسلي(٢٢١),ألم يأتكم رسلي فتعاليتم وتعظّمتم عن قبولها؟(٢٢٢), والمراد بالذين كفروا ((المتلبسين بالكفر عن تكذيب وجحود بشهادة قوله :(أفلم تكن آياتي تتلى عليكم فاستكبرتم)))(٢٢٣) ومن الملاحظ من الآية السابقة هو أنّ اكبر ذنب عند هؤلاء القوم الكافرين هو استكبارهم على آيات الله وتماديهم في المعصية والإجرام(٢٢٤) . فالآية وإن كانت بصدد بيان حال الكافرين إلا أنها بينت حقيقة : وهي إنّ الكافرين الذين اتخذوا خط الكفر مسلكا لأنفسهم استكبروا على آيات الله سابقاً.

ونتيجة أخرى تُستخلَص من ذكر قصة شعيب (عليه السلام) مع المستكبرين من قومه في القرآن الكريم , فبعد أن وعظهم وشدّ قلوب المؤمنين بالصبر , وصل المستكبرون إلى مرحلة اضطهاد نبيهم ﴿ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ (٢٢٥) فقد أقسمت هذه الجماعة والرؤساء على اضطهاد شعيب (عليه السلام)والذين أمنوا معه . فقال الملأ الذين رفعوا أنفسهم وعظّموها لنخرجنك وأتباعك من بلدتنا التي هي وطنك ومستقرك أو لترجعن إلى ديننا (٢٢٦), ويظهر جليا منطق المستكبرين وشدتهم (لنخرجنك))اللام والنون (نون التوكيد الثقيلة) (٢٢٧), و(لتعودن) ونُخرجنّك فعل مضارع مبني على الفتح و(الذين) عطف على المفعول به(الكاف) وجملة (آمنوا) صلة و(معك) ظرف مكان وتوسط النداء باسم شعيب زيادة بيان إغراقهم في الوقاحة والطغيان (٢٢٨) , وفي مقابل كل تلك الخشونة أجاب شعيب برفق وموضوعية وهل بإمكانكم أن تعيدونا إلى دينكم إذا لم نكن راغبين بذلك(٢٢٩) , فتظهر ملامح النفس المستنيرة بنور الإيمان والمطمئنة بصواب اختيار المسلك , مسلك التسليم لله .

ومن نتائج الكبر أيضاً هو الطبع على القلب كما في قوله تعالى ﴿ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾ ﴾ (٢٣٠) , فالطبع علامة بُعد ونقطة سوداء ملازمة لقلب كل متكبر, والمعنى : انه يطبع على قلوب المتكبرين(٢٣١) , والطبع بمعنى

الخذلان والتخلية (٢٣٢), وذلك يفيد ((إنّ قلوبهم مطبوع عليها فلما يفقهون حجة ولا يركنون إلى برهان))(٢٣٣) فتصير هذه القلوب أواني مغلقة لا يمكن إفراغها من محتواها الفاسد ولا إدخال المحتوى الصحيح إليها(٢٣٤).

ومما تجدر الإشارة إليه أنّ الاستكبار وهو طلب الترفع والتعاظم مذموم وله عواقب خطيرة , وقد يصل إلى مرحلة من إدمان الاستكبار والإصرار عليه كما حصل مع قوم نوح (عليه السلام) قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَاسْتَكْبَرُوا اسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ (٢٣٥)فكلما يدعوهم نبي الله يتفننون في إعراضهم ويصرون على ذلك , فيجعلون أصابعهم في أذانهم لئلا يسمعوا كلام نبي الله ودعاءه ويستغشون بثيابهم ويختفون لئلا يرونه (٢٣٦), ويصرون على كفرهم ومعاصيهم عازمين على ذلك مصرين ((فالإصرار الإقامة على الأمر بالعزيمة عليه))(٢٣٧) ,ويظهر هنا الأثر المعاكس لصفاء القلب ونقاء الرّوح من نوح (عليه السلام) واستمراره بدعوته يظهر عناد القلوب الخاملة وقوة روح الكفر والنفاق عندهم (٢٣٨), وفي سورة الإسراء إشارة إلى هذه النوع من التعاكس بين النور المتلألئ والظلمة الداكنة قال تعالى: ﴿ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (٢٣٩).

يتبين مما تقدم أنّ الاستكبار لا يتوقف عند حد فإذا ما تهيأت له الظروف والمناخات الملائمة أو بالأحرى إذا ما هُيئت بفعل الإنسان من التمادي في الاستكبار وعدم مراجعة النفس والأعمال , وإذا كان الإنسان في هذه الظروف في مجتمع خامل لا يقوم أبناؤه , أو مجتمع منافق يزوّق للإنسان عمله السيئ , بل يضعف ويركع لتسلط واستكبار أصحاب النفوس المريضة فإنّ ذلك عامل في ديمومة الاستكبار في نفس المستكبر , وعندها تصبح فرصة التفكر والنظر إلى الأشياء على حقيقتها صعبة , وذلك ما يحدّث به القرآن الكريم , فعند نمو الاستكبار عند المستكبرين واشتداده بهم وصلوا إلى مراحل من التردي والتسافل حيث عجّ الزمن بشرورهم , فخلّف استكبارهم نتائج مركبة إحداهما تؤدي إلى الأخرى – فهي سبب له – أولها : الظلم

ثم التيه بسلب الهداية , والكفر ثم العتو , والاضطهاد –اضطهاد الناس بل اضطهاد نبيهم – , والطبع على القلب وهذه النتيجة تعني إماتة القلب , وهي نتيجة مفردة لكنها أخطر النتائج فهي تعني الشقاء .

وأخيرا نذكر إن القرآن الكريم أثنى على الذين لا يستكبرون وهم الملائكة والمؤمنون, وهذا إن دلّ على شيء إنما يدلّ على أن الإيمان والاستكبار لا يجتمعان في النفس ,فأما إيمان يقود إلى رضا الله أو استكبار يحرف عن جادة الصواب .

ملخص البحث

فموضوع التكبر من الموضوعات التي اعتنى بها القرآن الكريم ,بوصفه من الأمور التي نهى عنها,لأنها من الأمراض التي تُصيب القلوب ,فإذا ما أصاب الإنسان سبّب له انحرافاً أخلاقياً وأبعده عن رضا الخالق الذي لا يليق التكبر إلا به.

لذلك جاء هذا البحث محاولةً في اكتشاف جزئيات هذا المرض عن طريق البحث عن مقدماته والنتائج التي تترتب عليه ,وقد اقتضى البحث أن يأتي في تمهيد تعرّض لدراسة مفهوم التكبر والبحث معناه في اللغة والاصطلاح, ثم عرض الفرق بين الكبر والتكبر ثم النسبة بين الكبر والعُجب ثم درجات التكبر وأقسامه, وجاء البحث في مبحثين ,اعتنى الأول بـ(استكبار إبليس) وبحث عن مقدماته ونتائجه, أما المبحث الثاني فقد درس الاستكبار البشري وبحث عن مقدماته ونتائجه بالاستعانة بالآيات القرآنية ,ثم جاءت الخاتمة لتُقدم أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

وقد استعان البحث بالمعجمات اللغوية وكتب التفسير ,فضلا عن كتب إعراب القرآن والكتب النحوية, وكذلك بعض كتب الأخلاق.

الخاتمة

في ختام هذه الرحلة الممتعة في رحاب القرآن الكريم لاستكشاف جزئيات موضوع التّكبّر وتفاصيله في سطور النص القرآني , توصل البحث إلى النتائج الآتية:

- إنّ التّكبّر مذموم مطلقاً في المخلوقين فلا يليق إلا بالله.
- إنّ التّكبّر منشؤه في القلب, فإذا بقي جوانحياً سمي (كِبر) وإذا تعدى وتُرجم إلى أقوال أو أفعال صار (تكبّراً)

- إنّ التّكبّر أقسام , فالقسم الأول: التّكبّر على عباد الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ ﴾ ,والقسم الثاني : التّكبّر على رسل الله وآياته, كما في قوله تعالى: (أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم) والقسم الثالث: وهو أخطر الأقسام التّكبّر على الله, كما في قوله تعالى: ﴿ ءَأَسۡجُدُ لِمَنۡ خَلَقۡتَ طِينٗا ٦١ ﴾.
- إنّ التّكبّر حالة وشعور, ولا يأتي فجأة بل من مقدمات, وإذا لم تعالج لا يتوقف عند حدّ بل يأخذ الإنسان إلى منزلقات تُسقطه في هاوية الضلال.
- إنّ اغلب الموارد التي ورد فيها التّكبّر جاء بصيغة (استفعل) أو بصيغة الاسم, وصيغة (استفعل) تؤدي معنى الطلب أي يطلب لنفسه تكبّرا ليس للنفس حقّ فيه.
- إنّ أول صفة أثبتها القرآن الكريم للمؤمنين هو الخشوع والتواضع؛وما ذلك إلا لأنّ التّكبّر يحجب الإنسان عن نور الإيمان.
- إنّ الملائكة وإن كانت عبادتها تكوينية فقد مدحها الباري في كتابه العزيز ونفى عنها الاستكبار عن عبادته والفتور عن التسبيح له تعالى.

هوامش البحث

- النور:١١.
- العين : ٥/ ٣٦١.
- نوح :٢٢.
- مقاييس اللغة :١٥٤/٥.
- ٥) لسان العرب : ١٠/١٣.
- ٦) القاموس المحيط : ١٠٥٤ , و ظ: لسان العرب :١٣ /١١
- مفردات ألفاظ القرآن : ٦٩٧.
- تاج العروس :٢/ ٤٩٩.
- جامع االسعادات :١ /٣٧٩.

- القلب السليم : ١٩٩/٢,و ظ: الأربعون حديثا, الإمام الخميني :١٠١,و الأخلاق في القرآن ,الشيرازي :٣٢/٢.
- ظ: الذنوب الكبيرة: ٢/ ٩٩.
- ظ: أخلاق أهل البيت : ٣٩.
- معرفة الأخلاق الإسلامية :١٥.
- ظ: تاج العروس :٢/ ٤٩٩,والكبائر من الذنوب :٧٧.
- تاج العروس : ٤٩٩/٢.
- ظ:جامع السّعادات : ١/ ٣٧٩.
- معرفة الأخلاق الإسلامية : ١٥.
- معرفة النفس : ٨٩.
- ظ: معرفة الأخلاق الإسلامية : ١٥,ومعرفة النفس : ٨٩.
- النحل :٢٩.
- الأحقاف : ٢٠.
- الفروق اللغوية : ٣٥٢.
- جامع السعادات :٣٥٦/١.
- التعريفات : ١٢٠.
- ظ : الأربعون حديثاً,الإمام الخميني :١٠١,والأخلاق في القرآن, الشيرازي : ٣٢/٢
- جامع السعادات : ١/ ٣٨٦.
- ظ: أخلاق أهل البيت :٤٣.
- ظ: جامع السعادات :٣٨٦/١,وأخلاق أهل البيت :٤٣.
- ظ: جامع السعادات : ٣٨٦/١ومعرفة الأخلاق الإسلامية :١٧.
- غافر:٦٠.
- جامع السعادات :٣٨٤/١.
- ظ: الأربعون حديثاً, الإمام الخميني: ١٠٣والذنوب الكبيرة :١٠٣/٢.
- ظ: أخلاق أهل البيت : ٤٣.
- الأنعام :٥٣.
- ظ: الذنوب الكبيرة : ٢/ ١٠٥ و أخلاق أهل البيت : ٤٣.
-

•البقرة : ٣٤.
•ظ: شرح شذور الذهب :١/ ٣٤١.
•طه: ١١٦.
•الأشباه والنظائر :٣٢/١
•ظ: العين :٣٥٢/١.
•م ن : ١/ ٣٥٠.
•الخصائص :١٥٤/٢
•شرح شافية ابن الحاجب :١٠٦/١
•ظ : شذا العرف في فن الصرف :٣٤
•البقرة :٣٤
•ص:٢٧
•ظ:الفروق اللغوية: ٨
•الحجر :٣٣
•العين:٣٥٧/٥
•ظ:الميزان:١٨٨/١
•تفسير القمي:٤١/١-٤٢,و ظ:البرهان في تفسير القرآن:١٧٤/١
•ظ:الأمثل:١٦٤/١
•م.ن
•نهج البلاغة:١٨٩
•تفسير العياشي:٢٤٢/٢
• البرهان في تفسير القرآن : ١٧٥/١, و ظ: بحار الأنوار : ٧/ ٢٦٦آ
•ص:٧٧.
•التبيان في تفسير القرآن :٥٨١/٨.
•مجمع البيان :٢٧٢/٨.
•ظ: الميزان :١٧/ ٢٢٦.
•الأعراف : ١٢.
•الأعراف :١٢.
•الإسراء : ٦١.

- التفسير الكبير: ١٤/ ٣٣, و ظ: البحر المديد :٢٣٦/٢.
- زبدة التفاسير :٤٩/٦_٥٠ , و ظ: البحر المديد :٢٩٠/٥.
- الحجر : ٢٩.
- ظ: مجمع البيان : ٨/ ٢٧٢.
- ظ: التبيان في تفسير القرآن : ٦/ ٣٣٢.
- ص :٧٥.
- ظ: مجمع البيان :٢٧٢/٨, وزبدة التفاسير : ٦/ ٤٩.
- ظ: زبدة التفاسير : ٦/ ٤٩, والبحر المديد : ٥/ ٢٩٠.
- ظ: الميزان : ٨/ ٣٥.
- الأعراف : ١٣.
- ظ: التبيان في تفسير القرآن : ٣٦٠/٤.
- لسان العرب :٧/ ٤٢١.
- ظ:التبيان في تفسير القرآن:٤/ ٣٦٠,ومجمع البيان: ٤/ ٢٢٥,والبحر المديد :٢٢٤/٣
- ظ: زبدة التفاسير :٢/ ٤٩٩.
- الأعراف : ١٣.
- ظ: أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك :٢٠,وشرح ابن عقيل :٩٦/١.
- ظ: شرح قطر الندى :١٨٥.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه : ١٢٠/٢.
- الأعراف : ١٢.
- مجمع البيان : ٢٢٥/٤.
- ظ: زبدة التفاسير : ٤٩٨/٢, و التفسير الأصفى :١/ ٣٦٢.
- ظ: التبيان في تفسير القرآن :٣٠٦/٤,و مجمع البيان :٤/ ٢٢٤.
- ظ: زبدة التفاسير : ٢/ ٤٩٨, و البحر المديد : ٢/ ٢٣٦.
- الأعراف : ١٨
- ظ : العين:٨/ ٢٠٣ولسان العرب : ١٢/ ٢٢٣
- التبيان في تفسير القرآن : ٤/ ٣٦٦
- ظ : العين : ٣/ ١٧٧ ولسان العرب : ٤/ ٢٧٨
- ص: ٧٧

•ظ: مغني اللبيب : ١/ ٤٩
• العين : ٦/ ١١٩
•ظ: شرح الرضي على الكافية : ١٣٩/٣
• زبدة التفاسير :٥٢٠/٣, و ظ : البحر المديد : ٢٢٤/٣
•الحجر :٣٥
•ص : ٧٨
•العين :١٤١/٢
• لسان العرب ٣٨٧/١٣
•ظ : التبيان في تفسير القرآن :٣٣٥/٦والتفسير الكبير:١٨٣/١٩
•الحجر :٣٥
•ص :٧٨
•الحجر :٣٢
•الحجر :٢٦
•١الحجر :٢٧
•ص:٧٨
•ص:٧٥
•ظ:مجمع البيان :٨٩/٦والميزان:١٥٧/١٢
•الإسراء:٦١
•الإسراء :٦٢
•الإسراء:٦٣
•زبدة التفاسير :٥١/٤
• طه :٩٧
•الإسراء:٦٣
•ص:٨٢
•الأعراف:١٦
•الحجر :٤٢
•الإنسان:٣
•ظ:التبيان في تفسير القرآن:١٩٩/١٠

•البلد:١٠
•العين :٨٣/٦
•ظ: ترتيب إصلاح المنطق:٣٧٥
•الشمس :٨
•ظ:الأمثل:٢٣٦/٢٠
•الروم:٣٠
•ظ: أصول الكافي:١٦/١
•الإسراء:٣٧
•العين:٢١٦/١
•لسان العرب:٥٩١/٢
•ظ:التبيان في تفسير القرآن:٤٧٣/٦ومجمع البيان:١٩٠/٦والميزان:٩٦/١٣
•ظ:التبيان في تفسير القرآن:٤٧٣/٦وزبدة التفاسير :٣٤/٤
•العين:١٤٧/٤وظ:لسان العرب:٧٣/١٠
•ظ:التبيان في تفسير القرآن:٤٧٣/٦ومجمع البيان:١٩٠/٦
•ظ:زبدة التفاسير:٣٤/٤
•ظ: الإيضاح في علوم البلاغة والمعاني والبيان والبديع :٦٨.
•ظ: الميزان :٩٧/١٣.
•لقمان :١٨.
•ظ: رصف المباني :٢٥٨ و الجنى الداني :٢٨٤ و مغني اللبيب :٢٩٨/١.
•العين :١/ ٢٩٨.
•ظ: شرح الرضي على الكافية : ٨٧٦/١.
•لسان العرب :٢٢٦/١١.
•الميزان :٢١٩/٦.
•ظ: قطر الندى :٢٨٣ و شذا العرف في فن الصرف : ٥٨.
•ظ: الأمثل :٤٦/١٣.
•لقمان :١٩.
•العين :٥٤/٥_٥٥.
•مجمع البيان :٦٥/٨.

•تفسير الأصفى :٩٧٠/٢.
•البقرة : ٨٧
• ظ:مجمع البيان :٢٩٦/١.
• إعراب القرآن وبيانه:٧٣/١.
• إملاء ما منّ به الرحمن : ٥٠/١.
•إعراب القرآن الكريم وبيانه : ١ /٧٣ .
• المؤمنون :٦٧.
•ظ :إعراب القرآن الكريم وبيانه :٢٢/١٨ ومعجم إعراب القرآن :٤٥١.
• ظ: زبدة التفاسير:٣٠٠/٦ , والتفسير الأصفى : ١١٥٩/٢.
• العين : ٣٠٣/٥, و ظ: لسان العرب : ١٠١/٧.
•لسان العرب : ١٠١/٧.
•الأعراف : ٣٥.
•العين : ٤/ ٢٣١.
•الأعراف : ٣٥ .
•الزمر :٥٩.
•الأعراف : ٣٥.
•ظ: الجنى الداني :٢٦٠ ومغني اللبيب : ١٦٦/١.
•الأعراف :٤٠.
•مجمع البيان :٢٥٤/٤.
•ظ: التبيان في تفسير القرآن :٤٠١/٤ والبحر المديد : ٢٥٠/٢.
•ظ: الأمثل :٥/ ٤٣.
•ظ: مجمع البيان :٢٥٤/٤ والأمثل : ٤٣/٥.
•الجاثية :٣١.
•ظ: الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء :٥٩/٢
•الأعراف :١٤٦.
•زبدة التفاسير: ٢/ ٥٩٧.
•ظ: مجمع البيان : ٤/ ٣٥٨وزبدة التفاسير:٥٨٦/٢
•الفرقان : ٢١.

- ظ: زبدة التفاسير:٥٥٨/٤.
- نوح:١٣.
- العين : ٢٢٦/٢.
- الفروق اللغوية:٣٣٧.
- لسان العرب :٢٧/١٥.
- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات : ٥٦١.
- لقمان :٧.
- التحرير والتنوير:١١٠/١١.
- العين :٨٧/٤.
- ظ: مجمع البيان : ٧٦/٨.
- ظ: زبدة التفاسير:٢٨٣/٥ والتفسير الصافي :١٣٩/٤.
- ظ: مجمع البيان :٧٧/٨ و زبدة التفاسير:٢٨٦/٥.
- العين :٢٠٦/٥.
- ظ: الميزان :٢١٠/١٦.
- فصلت : ١٥.
- الأعراف : ١٤٦.
- ظ: الميزان :٢٤٦/٨ و الأمثل :٢١٩/٥.
- البقرة :٦١
- ظ: زبدة التفاسير: ٦/ ١٧٤.
- ظ:إعراب القرآن وبيانه :٦١٩/٢٤.
- ظ:مجمع البيان :١٢/٩.
- ظ: زبدة التفاسير: ٢٠٢/٤.
- ظ: لسان العرب : ١٠٦/٣.
- الأنعام :٩٣
- ظ: الأمثل :٣٨٤/٤
- الأحقاف :١٥.
- زبدة التفاسير :٣٢٢/٦.
- ظ: التبيان في تفسير القرآن :٣٦٣/٩.

•ظ:البحر المديد :٣٠/٦.
•ظ: مغني اللبيب :٢٥٣/١.
• ظ: الأصول في النحو:١٢٥/١.
•الأعراف: ٧٧
•ظ:التبيان في تفسير القرآن :٤٥٣/٤.
•ظ: زبدة التفاسير:٥٥٠/٢.
•الأعراف:٧٥
•ظ: الأمثل :١٠١/٥.
• الأعراف :٧٥.
•ظ:زبدة التفاسير:٥٥٠/٢ والأمثل :١٠١/٥.
•ظ:زبدة التفاسير:٥٥٠/٢.
•ظ: الأمثل :١٠١/٥.
•ظ: التفسير الكبير:١٧٥/٧ و زبدة التفاسير:٥٥١/٢.
•الأعراف: ٧٧
•ظ: التفسير الكبير : ١٧٥/٧ و زبدة التفاسير:٥٥١/٢.
• ظ: زبدة التفاسير:٥٥١/٢.
• الجاثية:٣١
• ظ: التبيان في تفسير القرآن :٢٥٦/٩.
• ظ: زبدة التفاسير:٦/ ٣١٢.
• الميزان :١٨/ ١٧٩.
•٩) ظ: الأمثل :٢٣١/١٦.
•الأعراف:٨٨
•ظ: مجمع البيان :٢٣/٤.
•شرح ابن عقيل :٢٣/١.
•ظ:إعراب القرآن الكريم بيانه :٣٤١/٨.
•ظ: الأمثل :١٦٦/٥.
•غافر:٣٥
• ظ: التبيان في تفسير القرآن :٧٤/٩.

- ظ: زبدة التفاسير: ١٣٨/٦.
- الميزان : ٣٣١/١٧.
- ظ: الأمثل :٢٦٠/١٥.
- نوح : ٧.
- ظ: التبيان في تفسير القرآن :١٣٠/١٠ و الأمثل :٤٩/١٩.
- التبيان في تفسير القرآن :١٣٠/١٠ و ظ: مجمع البيان : ١٣٢/١٠.
- ظ: الأمثل : ٤٩/١٩.
- الإسراء : ٨٢

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم..
- أخلاق أهل البيت عليهم السلام, محمد مهدي الصدر, ط٢, مطبعة السرور, دار الكتاب الإسلامي, قم, ١٤٢٣هـ, ق. ٢٠٠٢م.
- الأخلاق في القرآن, ناصر مكارم الشيرازي, ط٢, مطبعة سليمان زاده, ١٤٢٦هـ.
- الأربعون حديثاً, الإمام الخميني., تعريب محمد الغروي, ط٦, ١٤٢٤هـ/٢٠٠٢م.
- الأشباه والنظائر في النحو, الإمام جلال الدين السيوطي, د.ط, دار الكتب العلمية, بيروت-لبنان, د.ت.
- الأصفى في تفسير القرآن, محمد محسن الفيض الكاشاني, تح مركز الأبحاث والدراسات الإسلامية ومحمد حسن درايتي وآخرون, ط١, مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي, ١٤١٨ق-١٣٧٦ش.
- الأصول في النحو, أبو بكر محمد بن السراج البغدادي, تح عبد الحسين الفيلي, د.ط, مطبعة مؤسسة الرسالة, د.ت.
- أصول الكافي, ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني, تح محمد جواد الفقيه, ط٢, مطبعة دار الأضواء, ١٤٣١-٢٠١٠.
- إعراب القرآن الكريم وبيانه, محي الدين الدرويش, ط٧, مطبعة اليمامة , دار ابن كثير, بيروت- لبنان, ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م.

- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل, الشيخ ناصر مكارم الشيرازي, ط٢, دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان, ١٤٢٦هـ-٢٠٠٦م.
- الإنباء بما في كلمات القرآن من أضواء, محمد جعفر الشيخ إبراهيم الكرباسي , د.ط, مطبعة الآداب, النجف-حي عدن, د.ت.
- أوضح المسالك إلى ألفية بن مالك, تأليف الإمام أبي محمد عبد الله جمال الدين بين هشام الأنصاري, ط٥, دار الجيل- بيروت, ١٩٧٩.
- الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبديع والبيان, جلال الدين أبو عبد الله القزويني, ط١, مطبعة أمير, قم, ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.
- بحار الأنوار الجامعة لدرر أخبار الأئمة الأطهار, الشيخ محمد باقر المجلسي, ط٢, مطبعة مؤسسة الوفاء., بيروت-لبنان, ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
- البحر المديد , أبو العباس أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني , د.ط , طبعة دار الكتب العلمية _بيروت,١٤١٩هـ
- البرهان في تفسير القرآن, السيد هاشم البحراني, ط١, مطبعة دار المجتبى, قم-إيران, ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.
- تاج العروس من جواهر القاموس, محب الدين الحسيني الواسطي الزبيدي, تح علي شيري, د.ط, دار الفكر, د.م, ١٩٩٤م-١٤١٤هـ.
- التبيان في تفسير القرآن, أبو جعفر محمد الطوسي, تح احمد حبيب العاملي, ط١, مطبعة مكتب الإعلام الإسلامي, د.ت, د.م.
- التحرير والتنوير, محمد الطاهر أبن عاشور,د. ط , مطبعة عيسى البابي الحلبي,د.م,١٣٤٨هـ
- ترتيب إصلاح المنطق, ابن السكيت الأهوازي, تح محمد حسن بكائي, ط١, مطبعة مؤسسة الطبع والنشر في الأستانة الرضوية المقدسة, مشهد-إيران, ١٤١٢.
- التعريفات, السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني, ط١, دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان, ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.
- تفسير الصافي, محسن الفيض الكاشاني, ط٢, مطبعة مؤسسة الهادي, قم المقدسة, ١٤١٦هـ- ١٣٧٤ش.
- تفسير العياشي, أبو النظر محمد بن عياش السمرقندي, تح هاشم الرسولي المحلاتي, د.ط, مطبعة المكتبة العلمية الإسلامية, طهران-سوق الشيرازي, د.ت.

- تفسير القمي , أبو الحسن علي بن إبراهيم القمي , تح طيب الموسوي الجزائري, ط٣, مؤسسة دار الكتاب للطباعة والنشر, قم-إيران, ١٤٠٤.
- التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب, الإمام فخر الدين الرازي الشافعي, ط٢, مطبعة دار الكتب العلمية, منشورات محمد علي بيضون , بيروت- لبنان, ٢٠٠٤-١٤٢٥.
- تنزيل الآيات على الشواهد من الأبيات, شرح شواهد الكشاف, محب الدين الأفندي, د.ط, .م, د.ت.
- جامع السعادات الملوى محمد مهدي النراقي, ط١, مطبعة ثامن الحج, د.م, ١٤٢٥هـ.ق.
- الجنى الداني في حروف المعاني, حسن بن قاسم المرادي, تح طه محسن, د.ط, مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر, د.م, ١٩٧٥.
- الخصائص, أبو الفتح عثمان بن جني, تح محمد علي النجار, دار الهدى للطباعة والنشر, بيروت-لبنان, د.ت.
- الذنوب الكبيرة, السيد عبد الحسين دستغيب, تعريب علي محمودي, ط١, دار البلاغة للطباعة والنشر والتوزيع, د.م, ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
- رصف المباني في شرح حروف المعاني' الإمام احمد بن عبد النور المالقي' تح احمد محمد الخراط, د.ط, مطبوعات مجمع اللغة العربية, دمشق, ١٣٩٥هـ-١٩٧٥م.
- زبدة التفسير من فتح القدير ، محمد سليمان عبد الله الأشقر ، مطابع الانباء ، الكويت ، ط/١ ، ١٤٠٦هـ – ١٩٨٥م
- شذا العرف في فن الصرف, أحمد الحملاوي, تح محمود شاكر, ١, دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان, ١٤٣١هـ-٢٠١٠م.
- شرح ابن عقيل, العلامة ابن عقيل الهمداني, ط١٤, المكتبة التجارية الكبرى بمصر, ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.
- شرح الرضي على الكافي, رضي الدين الاستراباذي, تح محمد نور الحسن وآخرون, د.ط, دار الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ١٣٩٥-١٩٧٥م.
- شرح شافية ابن الحاجب, رضي الدين محمد الاستراباذي, تح محمد نور وآخرون, د.ط, در الكتب العلمية, بيروت- لبنان, ١٣٩٥-١٩٧٥م.
- شرح شذور الذهب, عبد الله بن يوسف بن هشام, تح عبد الغني الدقر, ط١, الشركة المتحدة للتوزيع- دمشق, ١٩٨٤.

•شرح قطر الندى وبل الصدى, أبو محمد عبد الله بن هشام الأنصاري, ط١١, مطبعة السعادة بمصر, ١٣٨٣-١٩٦٣م.
•كتاب العين, أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد الفراهيدي, تح مهدي المخزومي وآخرون, ط٢, مكتبة الصدر, د.م, ١٤١٠.
•الفروق اللغوية, أبو هلال العسكري, تح مؤسسة النشر الإسلامي, د.م, ١٤١٢.
•القلب السليم, السيد عبد الحسين دستغيب, ترجمة حسين الكوراني, ط١, دار البلاغة, د.م, ١٤٢١هـ-٢٠٠٠م.
•الكبائر من الذنوب, الشيخ حسين الشاكري, ط٥, مطبعة ستارة, الجمهورية الإسلامية-قم المقدسة, ١٤١٨هـ.
•لسان العرب, الإمام أبو الفصل جمال الدين ابن منظور, ط١, دار إحياء التراث العربي-بيروت, ١٤٠٨هـ-١٩٨٨.
• مجمع البيان في تفسير القرآن, الإمام السيد أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي, تح لجنة من العلماء والمحققين, ط١, منشورات الأعلمي للمطبوعات, بيروت- لبنان, ١٤١٥-١٩٩٥م.
•معجم إعراب القرآن, محمد سيد طنطاوي, ط٢, مطبعة سليمان زاده, ١٤٣٣هـ.ق.
•معجم مقاييس اللغة, احمد بن فارس بن زكيا, تح عبد السلام هارون, د.ط, مطبعة مكتبة الإعلام الإسلامي, د.م, ١٤٠٤.
•معرفة الأخلاق الإسلامية, محمد علي الحسيني, د.ط, د.م, ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.
•معرفة النفس, حسن موسى الصفار, د.ط, د.م, ١٤١١هـ.
•مغني اللبيب عن كتب الأعاريب, الإمام أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري, تح محمد محس الدين عبد الحميد, ط٢, مطبعة شريعت, د.م, ١٣٨٧.
•مفردات ألفاظ القرآن, العلامة الراغب الأصفهاني, تح صفوان عدنان داودي, ط٢, مطبعة سليمان زاده, د.م, ١٤٢٧.
•الميزان في تفسير القرآن, العلامة محمد حسين الطباطبائي, ط٣, منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات, بيروت-لبنان, ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.
•نهج البلاغة , السيد الشريف الرضي, ترجمة حسين انصاران, ط٣, دانش- قم, ١٣٨٨.